

212475 - العرش مخلوق ، خلقه الله تعالى ، وهو أول المخلوقات وأعظمها .

السؤال

هل الله موجود بلا مكان ؟ أرجو الشرح فأنا محتار حقاً ، وما العقيدة الصحيحة في هذه المسألة ؟ فعلى حد علمي أن هذه عقيدة الأشعرية ، ويستدلون بحديث "كان الله ولم يكن شيء، وكان عرشه على الماء .." رواه البخاري ، وقد شرح بعضهم الحديث فقال: في الحديث دلالة واضحة ومباشرة أن الله موجود ولم يكن قبله شيء ، وبالتالي فإن كل ما سوى الله مخلوق ، فالله هو الأول بلا بداية ، وإذا ما اعتقدتم ، كما تعتقد الوهابية، أن أزلية العرش مرتبطة بأزلية الله فإنكم بذلك تتقحمون أسوار"التجديف" - الكفر والزندقة - تقحماً ظاهراً ، لأن العرش ليس إلا مجرد مخلوق من مخلوقات الله. فالسؤال إذاً هو: هل كان العرش موجوداً مع الله تعالى قبل أن يخلق الخلائق ، أم إنه خلق من خلقه ؟ أم إن هناك شرحاً مخالفاً تماماً لكل هذا ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

من عقيدة أهل السنة والجماعة : الإيمان بأن الله تعالى مستو على عرشه ، وعرشه فوق سماواته ، وأنه سبحانه لا يحويه شيء من مخلوقاته .

انظر جواب السؤال رقم : (124469).

ثانياً :

العرش مخلوق ، لم يكن ثم كان ، وهو أعظم المخلوقات .

قال ابن حزم رحمه الله ، فيما حكاه من " مراتب الإجماع " :

" اتفقوا أن الله وحده لا شريك له ، خالق كل شيء غيره ، وأنه تعالى لم يزل وحده ، ولا شيء غيره معه ، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء ، وأن النفس مخلوقة ، والعرش مخلوق ، والعالم كله مخلوق." .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، في تعليقه عليه :

" أما اتفاق السلف وأهل السنة والجماعة على أن الله وحده خالق كل شيء فهذا حق.. " . انتهى من " نقد مراتب الإجماع " (303) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، أيضا :

" الْعَرْشُ مَخْلُوقٌ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ : الْعَرْشُ وَغَيْرُهُ ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ : الْعَرْشُ

وَعَبْرُهُ " .

انتهى من "مجموع الفتاوى" (214 / 18) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" العرش مخلوق عظيم ، لا يعلم قدره إلا الله " .

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (287 / 7) .

ومن زعم أن أحدا من أهل السنة ، أو من يسمونهم بالوهابية ، يقول بأن العرش أزلي غير مخلوق ، وأنه قديم قدم الباري سبحانه : فقد افترى الكذب وادعى البهتان ، وهذا سبيل كثير من أهل البدعة ممن يتنقص أهل السنة ويتهمونهم بالباطل كذبا وزورا ، ويقال لهؤلاء : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ؛ فهاتوا من كلام أهل السنة حرفا واحدا يقول : إن العرش قديم بقدم الله ، لم يزل معه سبحانه !!

ثالثا :

جمهور أهل العلم على أن العرش أول المخلوقات ، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

" أول ما خلق الله من الأشياء المعلومة لنا هو العرش ، واستوى عليه بعد خلق السماوات ، كما قال - تعالى - : (وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) " .

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (62 / 1)

وانظر جواب السؤال رقم : (145809) .

رابعا :

روى البخاري (7418) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : " أَنْ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ ؟ فَقَالَ : (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ) .

وفي رواية (3191) : (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ) .

فعرش الرحمن سبحانه خلق من خلقه ، خلقه قبل خلق السموات والأرض وما فيهن ،

والحديث المتقدم يدل على أنه لم يكن شيء أولا غير الله تعالى ، لا العرش ولا غيره من المخلوقات ، ثم إنه سبحانه خلق

العرش ، ثم خلق المخلوقات .

وانظر جواب السؤال رقم : (146779) ، (184797) .

خامسا :

زاد النفاة من الجهمية وغيرهم ، ممن سلك سبيلهم في نفي صفات الرب تعالى ، زيادة في هذا الحديث منكرا ، لا أصل لها ؛

فقالوا : (كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) ، يريدون بذلك نفي ما أثبتته الرب تعالى لنفسه من الاستواء

والنزول .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" مِنْ أَعْظَمِ الْأُصُولِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا هَؤُلَاءِ الْإِتِّحَادِيَّةُ الْمَلَا حِدَةُ الْمُدَّعُونَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ: مَا يَأْتِرُونَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) ، عِنْدَ الْإِتِّحَادِيَّةِ الْمَلَا حِدَةِ .

وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) : كَذِبٌ مُفْتَرَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ مَوْضُوعٌ مُخْتَلَقٌ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِ الْحَدِيثِ ، لَا كِبَارِهَا وَلَا صِغَارِهَا ، وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِإِسْنَادٍ ، لَا صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ ، وَلَا بِإِسْنَادٍ مَجْهُولٍ ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي مُتَكَلِّمَةِ الْجَهْمِيَّةِ ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى آخِرِ التَّجَهُُّمِ - وَهُوَ التَّعْطِيلُ وَالْإِلْحَادُ - .

وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الْإِلْحَادِيَّةُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: " وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ " : قَصَدَ بِهَا الْمُتَكَلِّمَةُ الْمُتَّجِهَةُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ؛ مِنْ اسْتَوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَنُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَالُوا: كَانَ فِي الْأَزَلِّ ، لَيْسَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ؛ فَلَا يَكُونُ عَلَى الْعَرْشِ لِمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنَ التَّحَوُّلِ وَالتَّغْيِيرِ " انتهى ملخصاً من "مجموع الفتاوى" (2/ 273-272) .

وقال أيضا ، رحمه الله :

" قاعدة جليلة بمقتضى النقل الصريح في إثبات علو الله تعالى ، الواجب له على جميع خلقه ، فوق عرشه ، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة والإجماع والعقل الصريح والفطرة الإنسانية الصحيحة الباقية على أصلها . وهي أن يقال: كان الله ولا شيء معه ، ثم خلق العالم ، فلا يخلو: إما أن يكون خَلَقَهُ في نفسه واتصل به ، وهذا محالٌ ، لتعالى الله عز وجل عن مماسّة الأقدار والنجاسات والشياطين والاتصال بها .

وإما أن يكون خَلَقَهُ خارجاً عنه ثم دخل فيه ، وهذا محالٌ أيضاً ، لتعالى الله عز وجل عن الحلول في المخلوقات ، وهاتان صورتان مما لا نزاعَ فيها بين المسلمين .

وإما أن يكون خَلَقَهُ خارجاً عن نفسه ، ولم يحل فيه ، فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره ، ولا يقبل الله منا ما يخالفه ، بل حَرَّمَ علينا ما يناقضه .

وهذه الحجة هي من بعض حجج الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، التي احتجَّ بها على الجهمية في زمن المحنة . ولهذا قال عبد الله بن المبارك فيما صحَّ عنه أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته ، على عرشه ، بائن من خلقه .

وعلى ذلك انقضى إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وجميع الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدقٍ ، وما خالفهم في ذلك من يُحتجُّ بقوله .

ومن ادَّعى أن العقل يعارضُ السمعَ ويخالفه ، فدعواه باطلة ، لأن العقل الصريح لا يتصور أن يخالف النقل الصحيح . وإنما المخالفون للكتاب والسنة والإجماع ، والمدَّعون حصول القواطع العقلية إنما معهم شُبُه المعقولات لا حقائقها ، ومن أراد تجربة ذلك وتحقيقه ، فعليه بالبراهين القاهرة ، والدلائل القاطعة التي هي مقررة مسطورة في غير هذا الموضع " انتهى من

"جامع المسائل" (1/63-64) .

سادسا :

تكلم الشيخ ابن عثيمين ، رحمه الله ، عن قول القائل : إن الله منزّه عن المكان ؛ لأنه لا يليق بالله عز وجل . فقال :
 " وهذا غير صحيح على إطلاقه ، فإنه إن أراد بنفي المكان ، المكان المحيط بالله - عز وجل - فهذا النفي صحيح ، فإن الله تعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته ، وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء ، كيف (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)؟ .

وإن أراد بنفي المكان : نفي أن يكون الله تعالى في العلو ؛ فهذا النفي غير صحيح ، بل هو باطل بدلالة الكتاب والسنة ، وإجماع السلف والعقل والفطرة .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للجارية: " أين الله؟ " . قالت: في السماء. قال لمالكها: (أعتقها فإنها مؤمنة) .
 وكل من دعا الله عز وجل فإنه لا ينصرف قلبه إلا إلى العلو، هذه هي الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ، لا ينصرف عنها إلا من اجتالته الشياطين، لا تجد أحدا يدعو الله عز وجل ، وهو سليم الفطرة ، ثم ينصرف قلبه يمينا أو شمالا أو إلى أسفل، أو لا ينصرف إلى جهة، بل لا ينصرف قلبه إلا إلى فوق " .
 انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (1/ 196-197) .

وسئل علماء اللجنة عن هذه العبارة : " وتيقن أن الله موجود بلا مكان " ؟
 فأجابوا :

" هذه العبارة عبارة باطلة ؛ لأنها تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة من أن الله سبحانه في العلو فوق سماواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، بخلاف ما يقوله نفاة العلو من الجهمية ، ومن سار على نهجهم الباطل " .
 انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة" (2/ 386) .
 وانظر جواب السؤال رقم : (162155) .

والله تعالى أعلم .